١٠ (نيقولاوس قاضي) هو مطران البصرة تولّى مدّة نيابة دمشق
١١ (الارشمندريت كيرلس الكفوري) الباسيلي الشويري
١٢ (الارشيمندريت رافائيل ابو مراد) الباسيلي المخلصي
١٣ (اغناطيوس حمصي) اسقف طرسوس شرفًا كان نائبًا على دمشق من السنة ١٨٩٩ الى السنة ١٩٠٨
١٤ (نيقولاوس قاضي) عاد ثانيةً الى هذه النيابة منذ سنة ١٩٠٨

الآداب العربية
في القرن التاسع عشر

بحثٌ تاريخي انتقادي للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع لما سبق)
أدباء النصارى في ختام القرن التاسع عشر (تابع)

واشتهر بفنون الآداب كاهنان مارونيّان من غزير وقعت وفاتهما في الربع الاخير من القرن السابق. الاوّل الخوري يوسف الهاني وكان يُدعى قبل كهنوته منصور الهمش تعلّم في مدرستنا الاكليريكيّة في غزير وعلّم فيها العربيّة ومن آثاره مقامتهُ الغزيريّة التي طُبعت سنة ١٨٧٢ في مطبعتنا الكاثوليكيّة وفي آخرها قصيدتهُ العامرة الابيات في لامور يسبار وجنودهِ المتطوّعين البُسلاء المعروفين بالزواوة الذين ماتوا شهداء في خدمة الكرسي الرسولي في كستلفيداردو سنة ١٨٦٠ وكانوا من نخبة الشبيبة وانجال واشرف الاُسر الكاثوليكيّة. هذا مطلعها:

كرمَ النفس قُمْ بالنفس فادِ فقد نَسبيَ السَّقُوقُ ثَدى الولادِ
عهدتُ المرءَ يتبع الموالي ويدفعُ عُنقهُ عن ذي ودادِ
وان خان الدعيُّ حليبَ امٍّ نذاك بنفسهِ عنها يُفادي

ومنها يصف ثورة اعداء الدين:

أثاروا ضدَّ رأس الدين حربًا جراثيمُ بما كانت سَوادي

ونادوا اين من يحمي ذمارًا نرومُ تزالُهُ في اي نادِ
فما لبث الزواوةُ ان أتوهم بأسرعَ من صدى صوت المُنادي
وصاحوا يا لحقِّ بابويٍّ متينِ الاصل مرتفعِ العمادِ
وشاقتهم كؤوس الحتف شربًا وحنّوا للهنّدة الحدادِ
ورودًا ايها الابطالُ سهلًا فسيفُ عُداتكم للدم صادِ
حسامٌ من جهنّم قُلّدوهُ تقدُّ شفارُهُ صُمَّ الجمادِ
ألا دمنا نُلاقي الحتف عفوًا ولا نحرم جياعًا حُسن زادِ
بكم الأعضاء تحيا بعد رأسٍ وكيفَ الجسمُ دون القلب هادِ
فكُفّ ملامةَ الحُسّادِ عنّا ونادِ على السطوح وفي المهادِ
دعوهم ينصرون الحقَّ جهرًا على اهل الضلالة والفسادِ
دعوهم في الفخار لهم ذيولٌ وذيلي أكأةٌ عقبَ جهادِ
ولا تمشوا عليهم من ضلالٍ فلا سور يسيارُ احثُّ هادِ

الى ان قال:

فاذ شهد الزواوةُ في الرزايا ونارَ الحرب تُضرَمُ بانقيادِ
بدمهم المزكّى أطفأوها وما أحلى الدماء بذا الجهادِ
فلا تحزن عليهم ناديات خرائدُ سافراتٌ في حدادِ
فان غابوا فأفعالٌ توارت وليس أفولها حدَّ التنادِ
وان نفدوا الحياةَ فقد اصابوا بدارِ الخُلدِ مجدًا بازديادِ
أتوا ولهمُ شهداء حقٍّ وعدُّوا القتلَ أشهى من شهادِ

وللخوري يوسف الهاني مآثر أخرى اخصُّها كتاب منارة الطُّلّاب في التصريف والاعراب طُبع في مطبعتنا الكاثوليكية. وله اناشيد متفرّقة كقولهِ على لسان مريم العذراء عند مهد طفلها يسوع:

نَمْ يا حياتي بالمنى يا نور عيني والمُنى

ذوقنَ بطرفِ أنعسِ وسنًا يلذُّ لشعسِ
في جنح ليلِ الحندسِ فالى جفونك قد دنا

ولدي ايا زهر الرُّبى تسمو البنين كما الصبا
قد فُقتَ عِقدًا مُذهبًا بل عقدَ درٍّ بالثنا

ما سوسنٌ في جامهِ قد ذرَّ من أكمامهِ
مع وردهِ وخزامهِ يحكيك يا بدر المُنى

كانت وفاة الخوري يوسف الهاني نحو السنة ١٨٨٥ . اما وطنيُّهُ الآخر فالخوري حنّا وعد المعروف بالعاصي ايضاً كان ذا قلم سيّال يُحسن الكتابة نظماً ونثراً . ولهُ ديوان شعر مخطوط يضنُّ بهِ آلهُ ويريدون نشرهُ وشعرهُ سلس مطبوع رونيا منهُ سابقاً قصيدة في مريم العذراء (المشرق ٧ : ١٣١) . ومن جملة اقوالهِ قصيدة دعاها جَبْر الكَسْر يذكر فيها وفاة البطريرك بولس مسعد ويهنّئ بها خلفهُ السيّد يوحنّا الحاج سنة ١٨٩٠ :

بالأمس كان الرثا والدمعُ ينسجمُ والبومُ عمَّ الفنا والشرُّ يبتسمُ
طافت بنا الكاس من صاب ومن عسلٍ والحمدُ لله في الحالين ملتزمُ
لا جملُ الله في الجلّى كتيبتَهُ ولو احاطت بها الارزاء تلتطمُ
ازال بالصبر يوحنّا مصائبنا فالكَسْرُ مُنجبرٌ والجرح ملتئمُ

وهي طويلة ختمها بقولهِ :

انت المؤمَّل ان تُضحي رئاستُهُ لنا وللدين حصناً ليس ينثلمُ
آمالنا فيك كالألحاظ شاخصةٌ لها سنانٍ ولكن ما لها كلمُ
جئنا ضنيك لكنَّ الهناء لنا فانَّ نسماك للابناء تبتسمُ
فاقبل ثناء بلا منٍّ وخذ منّةً بما يُترجمُ عن فحوى الفؤادِ فمُ

وكان المترجم مولعاً بفرنسا يعظّم مفاخرها ويطري بشهامة ابنائها ويشكر لدولتهم التي انقذت نصارى الشرق من نكبات المعتدين فمن ذلك عينيّتهُ الشهيرة التي قالها سنة ١٨٦٠ بعد حوادث الشام :

كفَّ البكا وامسحْ عيونًا تدمعُ واحفظْ بقيَّة مهجةٍ تتصدَّعُ
صبرًا ولا تملك أسًى وتوجّعا فلنَّ سعدك في الطوالع يطلعُ
يا شرقُ امرُكَ مذهلٌ او مُذهل والقلبُ حيران لذاك وموجعُ
قد كُنتَ آلفت المصائب ذلَّةً حتى دهتكَ مصيبةٌ لا توسعُ
لبنانُ ما هذه الجماجمُ والدما ما للمنازل وهي قفرٌ بلقعُ

الى ان قال على لسان الرب ملبّياً دعوة المنكوبين :

حتّام تفترسُ الذئاب رعيّتي فتطيبَ المختارُ كاد يُقطّعُ
ولقد اقمتُ لنصر شعبي ظافرًا بطلًا تخرُّ لهُ الجهات الاربعُ
صحنا وكان الى فرنسا الصوت : يا نابوليُون . اجابنا : لا تجزعوا
اني لَمُنجدكم وكاشف كربكم برضى الالهِ سواءٌ فخرًا يُقتنعُ

ومنها في وصف الحملة الفرنسويّة :

وكواسرٌ لا الهولُ في اوعاها هولٌ ولا الموتُ المريع يُروِّعُ
لا ترهبُ الاسيافَ ان سُلَّتْ ولا لحمي الحيوشَ ولا المدافعُ تدفعُ
منها الزُّؤافُ ولم تكن يوماً سوى السَّموتِ الزؤافِ وكلُّ عاتٍ موقعُ
تلك البحورُ على البُرور طمَتْ ولا سدٌّ يصدُّ ولا حجابٌ يمنعُ
ليس الملا الّا المراكبُ والموا كبُ والقواضبُ والقنا والأدرعُ
وهي السوابق والسرادق والبنا دقُ والصَّواهلُ والمنيَّة تتبعُ
سعدًا ليومٍ بشَّرت أعلامُهُ انَّ الحياةَ من الحيةِ اسرعُ
فله درُّكِ يا فرنسا مركزًا للدين والدنيا البكِ المرجعُ
لولاكِ لم يشرق فخارُ سلامةٍ فينا ولا زال الشقا المستفظعُ

وهي طويلة ابياتها من غرر الاقوال تتدفَّق جودًا ورقَّةً . ولهُ قصيدة مثلها في بلاغتها وهي نونيَّة قالها سنة ١٨٧١ لمَّا زار لبنان القنصل الفرنسوي روستان مطلعها:

حبٌّ قديمٌ ثابتُ الاركان لفرنسَ قام على ذُرى لبنانِ

وللخوري حنا رعد عدَّة انشيد يتغنَّى بها النصاري الى يومنا في المجتمعات التقويَّة كقولهِ في مدح البتول:

مَجْدُ مريم يتعظَّمْ في المشارق والغروبْ

وقولهِ:

عليك السلامُ بلا مَلَلْ يا نجمة البحر والامَلْ

وقولهُ في القربان الاقدس:

لك التسبيح والشكرانْ لك المجد يا سرَّ القربانْ

توفي الخوري يوحنَّا رعد في اواسط آب من السنة ١٩٠٠

وفي السنة ١٨٨٩ فقدت الشهباء احد كهنتها الموارنة الاجلَّاء القس اغوسطينوس عازار. درس العلوم في مدرستنا الاكليريكيَّة في غزير وكان يسمَّى جرجس ويرع في اللغة العربيَّة فلمَّا عاد الى وطنهِ انقطع الى التدريس والتأليف ونقل الكتب الى العربيَّة وخدم الاداب نحو عشر سنين. ومن تآليفهِ كتاب خلاصة المعرفة في اخصّ قضايا الفلسفة طُبع سنة ١٨٨٦ في بيروت (١. ولهُ ديوان شعر اخذتهُ يد الضياع الّا بعض القصائد التي نُشرت في المجاميع الادبيَّة. فمن قولهِ في رثاء يذكر الموت:

---

١) ولاخيهِ القس بولس كتاب الادلَّة النظرية في وحدة النفس البشريَّة

من ابن يرجو المرء خلدًا اذ يرى كلًّا يزول مع الزمان ويُدفعُ
انّ الحياة لدى الحقيقة هدفها يمضي كلمح البرق او هو اسرعُ
كلّ له يومٌ يودّع اهلَهُ فيه وداعًا مطلقًا ويودّعُ
لا فرق عند الموت بين اكابرٍ واصاغرٍ حين القضاء يُلمّعُ
ما هذه الدنيا لدى عيني سوى سفر الى ابديّةٍ لا ترجعُ
ان رمتَ يا صاحِ السعادةَ والبقا فاسلك سبيل الله صدقًا تنجعُ

وله في يوبيل البابا لاون (سنة ١٨٨٧—١٨٨٨) قصيدة غرّاء افتتحها بقوله:

نادى المنادي بوحي الله ما كتبا في آية النصر انّ الليث قد غلبا
ليث من الانس يخشى الارضُ سطوتهُ في الغرب والشرق إنْ معجمًا وان عربا
فاعجب له اسدًا باليأس متصرًا بالانس مشتهرًا في الكون مرتقبا

ومنها:

رعيًا لراعٍ رعى حقّ الاله ولم يُبدِ التساهلَ فيما الدينُ قد طلبا
مذ قام حقّ قيامٍ في رسالتهِ جسّت بلنت غياثًا الأرَبا
ووفّق الدينَ والدنيا بحكمتهِ ولم يَدعْ لهما عذرًا ولا سببا
يحاه حاملةُ الانجيل ما برحت يسراهُ تعضدُ سادات الورى الحُسَبا
قوّى الملوكَ على اعداء سلطتهم بكبحهِ الثورةَ الشنعاء والغضبا
وقام يجهد في السران طاقتهُ فردًا ما كان متهُ الدهر قد سلبا
هزّ العصا فأراع الكُفرَ فارتعدت منها العُصاةُ فاذا لرجا ضربا

وهي طويلة بليغة ختمها بهذا التاريخ:

قد حاز لاوون ١٠ التاريخُ ينشدهُ اسمًا مدى الدهر يبقى ذكرهُ عجبا

ولم يتأخّر الاكليروس السرياني الكاثوليكيّ في نهضة الآداب العربيّة في ختام القرن التاسع عشر ففي سنة ١٨٧٤ توفي البطريرك (فيلبُس عركوس) وكان متضلّعًا بعدّة لغات شرقيّة وغربيّة. له كتاب مخطوط عنوانهُ قوت النفس فيه ارشادات ومواعظ. فخلفهُ السيّد البطريرك (اغناطيوس جرجس شلحت) الحلبيّ الاصل (١٨١٨—١٨٩١) اشتهر بالعلوم الطقسيّة وعزّز الموسيقى الكنسيّة. ومن آثاره الطيّبة كتابان احدهما يحتوي على مواعظ وخطب دينيّة والآخر ضمّنهُ تاريخ الكنيسة الشرقيّة. هذا فضلًا عن عدّة كتب طقسيّة سعى بتنقيحها وطبعها في السريانيّة والعربيّة

وقام من بعدهِ السيّد (اغناطيوس بهنام بنّي) الموصلي (١٨٩١—١٨٩٧) درس في

رومية العظمى ونال شهادة المثنة في اللاهوت والفلسفة. وقد نشر في مطبعة الآباء الدومنكيين في الموصل كتاباً اثبت فيهِ حقيقة الكنيسة الكاثوليكيـة دعاهُ الدرّة النفيسة في حقيقة الكنيسة ولهُ كتاب كلندار السّنة لابرشيّة الموصل السريانيّة . وطُبع لهُ في لندن سنة ١٨٧١ كتاب انكليزي عنوانهُ تعليم الكنيسة السريانيّـة في رئاسة بطرس وخلفائهِ الاحبار الرومانيين

وزيّن الشام في اواخر ذلك العصر حبران جليلان من الطائفة نفسها اعني السيد (تاوفيلس انطون قندلفت) الحلبي (١٨٣٦–١٨٩٨) الذي تعيّن مطراناً على طرابلس وسكن بيروت. ولهُ تركة علميّة واسعة منها دينيّـة كالسراج الوهّاج في سنّة الزّواج والرأي الامين في حلّ بعض المشاكل الزيجيّة عند الشرقيين وكتاب مواعظ دعاهُ عقود الجمان في شرح قانون الايمان في ثلاثة مجلّدات لردفهُ بكتاب القلادة الدريّة في شرح الوصايا الالهيّة وكتاب القيثارة الشجيّة في التسابيح الالهيّة جمع فيـهِ تسابيح وانشيد تقويّة أدرجها في الكنائس وكل هذه الكتب الّا الاخير نشرت بالطبع. امّا كتبهُ الادبية فمنهـا رواية ظريفة تُدعى الذّميم والذميمة وكتاب الذكرى لمن اعتبر يحتوي انتقادات وحكماً وشذرات ادبيّة بالنثر والنظم لم يطبع . ولهُ عدّة مقامـات وقصائد وروايات طُبعت في مجلّة النحلة وفي الجنان وفي بعض الجاميع فمن ذلك قولهُ في مدح احد أدباء الاستانة يوسف نعمة الله جدّه:

مالي وللدهر دَعْني أنتقي مَثَلاً من راح اهل الرقا والفهم والكَرَمِ
مَن جدُّهم جاد واستملت معالمهم حتى غدا فضلُهم تاراً على عَلَمِ
بن اهل جدٍّ فتى رام العُلى فَعَلا بالفضل والفضل والاحسان والشيمِ
سمتُ رأيٍ سنيّ الفكر ذو حَذَقٍ في وصف جانبهِ قد حار كل فمِ

ولهُ مجيباً لقدسي زاده تدري بك وكان ارسل اليه قصيدة يُعرب فيها عن اشواقه الى وطنهِ وخلانهِ في الشهباء اوّلها:

يا راتياً يبغي ذُرى الشهباء وسراجاً للبلدة البيضاء

فوجّه المطران انطون اليهِ بهذه القصيدة من بحرها وقافيتها:

يا صاعداً أوج العلى بثناء ولواك مُنعقدٌ على الجوزاء
وسواك يبغي المجد لكن جدُّهُ هيهات مثلك يا ذُرى الفضلاء
حسبٌ وفضلٌ قد جمعتَ كليهما مع رقّـةٍ ومكارمٍ وسنـاء

اولبتني الإحسانَ بالتوديع في مصرٍ بغير قصيدة غرّاء
فيها الحنينُ الى المواطن والحما والى الافاضل من بني الشهباء
فلثمتها وتلوتُها ونشرتُها وحسبتها من اوجه الاصداء

ومنها:

انت الملاذُ لآل قُدسٍ وانستَ الفخرُ للاوطانِ يا مولاي
لم تنسَ شيمتَكَ الكريمةَ دائمًا بالحل والترحال دون وفاء
فلتفتخر حلبٌ ببعد القادر م القدسي على الأقطار والانحاء

وختمها بقوله:

خذها لردّ صدى الوداد على الندى من ذي وفاء ودُّهُ بصفاء
واصفح بفضلك عن قصوري انني في كنف عفوكَ قد وجدتُ حماي

وزاد على من سبق ذكرُهم شهرةً السيّد (اقليميس يوسف داود) ولد في الموصل من أسرة كلدانيّة في ٢٣ تشرين الثاني سنة ١٨٢٩ وبعد ان درس فيها مدّة في مدرسة الآباء الدومنيكيين ثم في مدرسة الآباء اليسوعيين في غزير اتمّ دروسهُ في رومية وحاز السبق على كل اقرانهِ في العلوم الدينيّة والدنيويّة ثمّ انضوى الى الطائفة السريانيّة وعاد الى وطنهِ وعلّم عدّة سنين في مدرسة الآباء الدومنيكيين فتخرّج عليهِ كثيرون عُرفوا بآدابهم ومنشآتهم ووكل الرسلون اليهِ نظارة مطبعتهم واصلاح منشوراتها فقام بالامر احسن قيام واهتمّ بطبع تآليف جمّة لا تزال واسطة قلادتها. وقد اهتمّ بالاعمال الرسوليّة اهتمام العبد الصالح فخدم النفوس بالمواعظ والكتابة والتأليف وانشاء المدارس الى أن عهد اليهِ الكرسي الرسولي تدبير ابرشيّة دمشق فلبّى دعوتهُ مرغومًا. وآثارهُ العديدة في الديحاء لا تزال تنطق بفضلهِ وهناك أقيم لهُ نصب تمثال من الرخام في الدار الاسقفيّة التي زانها بفضائلهِ وعلومهِ من السنة ١٨٧٨ الى تاريخ وفاتهِ في ٤ آب ١٨٩٠. وقد استوفى جناب الكنت فيليب نصر الله طرّازي ذكر اعمالهِ في كتابهِ القلادة النفيسة في فقيد العلم والكنيسة الذي طبعهُ في مطبعتنا سنة ١٨٩١ وهناك تجد جدول تآليفهِ المطوّل ومجموع آثارهِ العلميّة في كل الفنون والمعارف المصريّة تنيف على الثمانين تأليفًا او تعريبًا او اصلاحًا وتنقيحًا. بينها قسم واسع في الآداب العربيّة من صرف ونحو وعروض وخطب وتاريخ وآداب شعريّة ونثريّة ولهُ اوّل من زوّد المدارس الكاثوليكية بكتب تعليم منقّحة. وتعريبهُ للاسفار المقدّسة ينبئ بفضلهِ العميم. واما

آثارهُ بالسريانيّة فتكاد لا تُحصى. ولهُ حتى يومنا عدّة تصانيف لم تنشر بالطبع مع كثرة فوائدها وكان للسيد اقليميس داود مقامٌ جليل بين العلماء الاجانب يقدّرون قدرهُ في كل الابحاث الشرقية وقد رثاهُ كثيرون بالمراثي النفيسة ومن اجودها قول الدكتور لويس صابونجي:

وترثي دمشقُ الشام فَقْدَ عزيزها ... مع الموصل الحدباء اذ قام مشهَدُ
سأبكي عليهِ ما تقطّر مدمعي ... وراح يحامُ في الأراك بفرَدُ
بكتهُ طروسٌ والبراعُ ونثرهُ ... وناح عليهِ الشعر اذ بات يُنشَدُ
بكتهُ علوم الاولين بأسرها ... بدمعٍ غزيرٍ سيلهُ لا يُحَدَّدُ
وراح عليهِ المجدُ يبكي تأسُّفاً ... وقلبُ المعالي بالمراثر يَفْسَدُ
وراح من السريان مجمعُ شرفةٍ ... يُقرّ لهُ بالفضل فيما يمدّدُ
ومجمعُ وانيكان يندبُ فقدَ مَن ... لديهِ تقالِيد الطوائف توجَدُ

وهي طويلة منها قولهُ في قبر الفقيد:

عليك سلامُ الله ما ضاء فرقدٌ ... ودمتَ بقطر الغيث تُسقى وتغمَدُ
سألت المي ان يمنّ بفضلهِ ... عليَّ بتقبيل الضريح فأحمَدُ
واغسل ذاك القبر بالدمع فرجةً ... لانّ غليلي بالدموع يُبرَّدُ

ومِمَّن اشتهر بين كهنة السريان الخوري (يوسف معمار باشي) الماردينيّ تلميذ مدرسة برومتدا ودير الشرفة رحل الى اميركا سنة ١٨٨٠ وسطّر اخبار رحلتهِ في كتاب دعاهُ ارشاد القريب والبعيد الى معرفة العالم الجديد. توفي سنة ١٨٨٩

وكذلك عُرف كاهن فاضل كان من تلامذة مدرستنا في غزير ومدرسة الشرفة الخورفسقفوس (ميخائيل دلّال) تولّى كتابة الاسرار للبطريرك جرجس شلحت زمناً طويلاً وكان شاعراً مجيداً. ومن آثارهِ روايات ادبيّة كإحسان الانسان والنفح العاطر في الفتى المهاجر والفتاة الحرساء. ولهُ ديوان شعر غير مطبوع فمن اقوالهِ الزهديّة:

أرى الدنيا جاهها لا يطولُ ... وزخرفُها برمّتهِ يزولُ
فمزّقها وجبتها خيالُ ... وزهرُ الحقل برهان دليلُ
فهذا الزهرُ عند الصبح يزهو ... وينثك في المساء به الذبولُ
فكيف الناس في لهو حيارى ... ورأسهمُ تدورُ به الشمولُ
ألا ليت الانامَ يعون قولي ... ففي الاخرى لهم خيرٌ جزيلٌ

وقال من قصيدة طويلة في مديح لاوون الثالث عشر:

حبرُنا لاورن مَن قدرًا سما وتعالى سؤددًا دون مثل
مَن حباهُ الله اوفى منحةٍ اذ رآهُ مستحقًّا للنِحَلْ
خلف المبتوطَ شمعونَ الصفا من مفاتيح السماوات اقتبلْ
فبقى نصرًا لحقِّ الدين في كل حالٍ منهُ لا يعرى بدل
وازاح الستر عمَّا قد فشا من ضلال الكفر في كل محلّ
ان أقُلْ فيهِ ختامًا قد غدا يحوَرُ الدنيا عليه لا تجدَلْ

توفي القس ميخائيل دلال سنة ١٨٩٤

وقد جارى الاكليروسُ الكلدانيّ اخوتَهم السريان في رفع لواء الآداب الَّا ان همتهم كانت مصروفة الى لغتهم فانَّ مطبعتهم في الموصل عُنيت خصوصًا بنشر الآثار الكلدانيَّة . على انَّ البطريرك (يوحنا عبد يشوع خيَّاط الموصلي) كان يُتقن اللغتين السريانيَّة والعربيَّة ولهُ في كلتيهما مصنَّفات . ومن تآليفهِ العربيَّة مجموع بالنثر والنظم لافادة طلبة المدارس دعاهُ روضة الصبي . ولهُ فصول في التواريخ القديمة عرَّبهُ من تاريخ بيليز (Belèze) وذيَّلهُ وطبعهُ في مطبعة الآباء الدومنيكان . توفي السيِّد عبد يشوع سنة ١٨٩٦

وممَّن عُني من الكلدان بنشر الآثار العربيَّة القس يعقوب نعمو نشر كتابًا جليلًا للبطريرك النسطوريّ ايليا الثالث المعروف بابي الحلم ابن الحديثي في القرن الثالث عشر يُدعى التراجم السنيَّة للاعياد المارونيَّة يحتوي عددًا من اقس الخطب الدينيَّة وابلغها كأنها مسجعة يقرّ لها بالبلاغة كل من يسمعها . وقد نشرنا في المشرق خطبًا لهُ لم نجدها في هذا المجموع

اما الروم الارثوذكس فلا نعرف احدًا اشتهر في اكليرسهم بالآداب العربيَّة غير السيد (جراسيموس يارد) مطران صيدنايا ومعلولا وزحلة . كان مولدهُ في راشيا سنة ١٨٤٠ وبعد درسهِ في مدرسة طائفته في دمشق علَّم في مدرسة حماة ثم أُرسل الى موسكو سنة ١٨٥٨ لتدبير اوتطش ملتهِ فيها فوجَّهت اليهِ الدولة الروسيَّة انظارها ودعتهُ الى تدريس اللغات الشرقيَّة في مدارسها وقد أَلَّف هناك كتبًا بالروسية طُبعت على نفقة الدولة منها تاريخ فوطيوس . وفي السنة ١٨٨٣ عاد الى بلاد الشام وخدم الكرسي الانطاكي بنشاط حتى رُقي الى رتبة الاسقفيَّة سنة ١٨٨٩ فدبَّر ابرشيَّتهُ عشر سنوات وكانت وفاتهُ في ايلول سنة ١٨٩٩ . ومما تركهُ من الآثار تعريب كتاب خلاص الخطأة ورواية

واقرار بيلاطس وكاريس في الرتب والطقوس والاعياد الكنسية. وكان خطيباً مصقعاً

*

(البستانيُّون) تقدَّم ذكرهم على بقيَّة الادباء العاملين الذين اشتهروا في ترقية الآداب العربيَّة في الربع الاخير من القرن التاسع عشر. وكان اشهرهم المعلم (بطرس البستاني) فانَّهُ وُلد في الدبيَّة من اقليم الخرُّوب سنة ١٨١٩ من عائلة مارونيَّة وجيهة وفي صغرهِ تلقَّى العلوم في مدرسة عين ورقة وهو يريد الانتظام في سلك الاكليروس ثم جنح الى البروتستانيَّة واخذ عن مرسليها المعارف المستحدثة ودرس عليهم العبرانيَّة وعلَّم في مدرسة اعبيه لرسالتهم الاميركيَّة واظهر من الاجتهاد في التحصيل والبراعة في التعليم ما حبَّبهُ الى اصحاب تلك الرسالة كالدكتور عالي سميث والدكتور ڤان ديك فاستدعوهُ الى بيروت لمؤازرتهم في اعمال مطبعتهم فساعدهم في عدَّة تآليف اخصُّها ترجمة التوراة من العبرانيَّة الى العربيَّة وتولَّى مدَّة منصب الترجمة في قنصليَّة اميركا ثم تفرَّغ للتأليف ووضع عدداً من الكتب المدرسيَّة في الصرف والنحو والحساب ثم باشر بقاموسهِ المطوَّل المعروف بمحيط المحيط واختصرهُ في قطر المحيط فنال من السلطان عبد العزيز الوسام المجيدي من الطبقة الثالثة ومبلغاً وافراً من المال كجائزة على عملهِ. ولمَّا رأى الصحافة في سوريَّة ضيِّقة النطاق عدل الى انشاء الصحف فحرَّر مع آله الجنان والجنَّة والجنينة وكان الجنان مجلَّة تتضمَّن المباحث السياسيَّة الحرَّة والمقالات العلميَّة والتاريخيَّة والادبيَّة ثم عهد الى ابنهِ سليم مواصلة هذا العمل وابتدأ اوَّل دائرة علميَّة ظهرت في اللغة العربية فابرز منها سبعة اجزاء قبل وفاتهِ. وكان المعلم بطرس مع وفرة هذه الاعمال يتعاطى التدريس فأنشأ في بيروت مدرستهُ الوطنيَّة التي نالت بهمَّتهِ نجاحاً الى ان اضطرَّتهُ اعباء الاشغال الى انتداب ابنهِ سليم الى ادارتها ثم أُقفلت بعد حين. وكانت وفاتهُ فجأة في غرَّة ايار سنة ١٨٨٣ ومن رثاهُ الشيخ خليل اليازجي فقال من قصيدة:

يا قُطر دائرة المعارف والحِجى ... وعطيَّ فضل فاض في إمدادهِ
تبكي العلوم عليك واللغة التي ... بقريضها تريُّك في انشادهِ
فاذا المحيط بكاك لم يكُ دمعهُ ... دون المحيط يزيد في إزبادهِ
يبكي الحسابُ عليك متَّخذاً لهُ ... دمعاً يسيل عليك من أعدادهِ
تبكي المدارس والجرائد حسرةً ... والشرق بين بلادهِ وعبادهِ

وفي السنة التالية ١٨٨٤ نشبت مخالب المنون في نجله (سليم البستاني) وكان سليم يتمثّل أباهُ في نشاطهِ وهمّتهِ وآدابهِ وقد ساعدهُ في تحرير مجلّة الجنان فكتب فيها فصولًا واسعة وتولّى ادارة صحيفة الجنّة وانجز الجزء السابع من دائرة المعارف ونشر جزءهُ الثامن . ولم يظهر من هذا التاليف بعد ذلك الّا ثلاثة اجزاء ولعلَّ الباقي لن يُنشر ابدًا . وكان الاجدر بمؤلف هذه الدائرة ان يتمّم الشغل على جملة من الكتبة فيتولّى كلٌّ منهم تحرير القسم الخاصّ به فانَّ ذلك كان أضمن بانجازها فضلًا عن كونهِ أشمل لموادّها واوفى بفوائدها فانَّ هذه الدائرة مع محاسنها بعيدة عن الدوائر الاوربيّة التي يتولّاها قومٌ من الاختصاصيين . ومن اكبر خطَلها انَّ موادّها الشرقية قليلة فان مؤلّفيها نقلوا خمسةً او ستّة من الكتب العربيّة الشائعة ولم يعنوا بالبحث عن المطالب التي تهمُّنا من تاريخ بلادنا

ولسليم البستاني روايات قصصيّة نشر كثيرًا منها في الجنان وروايات تمثيليّة كرواية الاسكندر وقيس وليلى جرى تمثيلها في الجمعيّة السوريّة وكان احد اعضائها الممتازين . ونشر ايضًا تاريخ فرنسا بمجلّد كبير استعان في نشرهِ بجناب الشيخ خطّار الدحداح . توفي سليم البستاني في ١٣ ايلول ١٨٨٤ وكان مولدهُ في اعبيه في ٢٨ ك١ سنة ١٨٤٨ وكان في العربيّة احد المتخرّجين على الشيخ ناصيف اليازجي

وممن شرّفوا الأسرة البستانيّة بآدابهم دون ان تصيبهم في دينهم شائبةٌ كالمعلّم بطرس وابنهِ سليم السيّدُ الجليل (بطرس البستاني) رئيس اساقفة صور وصيدا على الموارنة (١٨١٩—١٨٩٩) واحد تلامذة عين ورقة خانَ عنهُ المطران عبد الله البستاني منشئ مدرسة مشمرشة في تدبير كرسي صور وصيدا وكان متضلّعًا بالعلوم الدينيّة والفقهيّة واشتهر بتعليم الحقوق والفرائض واتّخذهُ مدّة السيّد البطريرك بولس مسعد لكتابة اسرارهِ الى ان سامهُ اسقفًا سنة ١٨٦٦ واستصحبهُ الى رومية في رحلتهِ اليها سنة ١٨٦٧ احتفالًا بالتذكار المئوي لاستشهاد القديسين الرسولين بطرس وبولس وسنة ١٨٧٠ لحضور المجمع الواتيكاني توفي في ٢ تشرين الثاني ١٨٩٩

ومنهم الخوري (يوسف البستاني) من تلامذة مدرستنا الاكليريكيّة في غزير حرّر البشير مدّة سبع سنوات واشتهر بالكتابة وعرّب عدّة تآليف نُشرت في مطبعتنا كتاريخ الكنيسة للومُند والحديث المانوس في هداية النفوس وجمع مع الخوري بطرس

الزغبي كتاب نخب الملح وغرة المنح وذيله بالملحوظات التاريخية والحواشي الواسعة فطبع على الحجر . كانت وفاته السنة ١٨٩٦

والشهير كذلك سميه الخوري (يوسف جرجس البستاني) الذي عرف بفضله وفضيلته وانضم الى جماعة المرسلين الكريميين ففلح معهم كرم الرب حتى انتدبه الطبيب الذكر السيد يوسف الدبس الى ادارة مدرسة الحكمة في بيروت واتخذه كاتباً لاسراره فقام بكل مهماته احسن قيام وله عدة خطب ألقاها في النوادي العلمية المارونية طبع بعضها وله خطب أخرى وقصائد وتآليف شتى لم تطبع . كانت وفاته سنة ١٩٠٦

ومنهم ايضاً (سعيد البستاني) توفي في الحدث في ربيع سنة ١٩٠١ عن بضع واربعين سنة وكان محرراً لجريدة لبنان وكان سكن مدة القطر المصري وتولى منصباً رفيعاً في نظارة المالية . ومن مآثره الادبية رواية ذات الخدر مثل بها احوال مصر وعاداتها على اسلوب لطيف . واشهر منها رواية سير الامير اودعها صورة احوال لبنان وعادات امرائه واخلاقهم

والاسرة البستانية لا تزال ممتازة الى يومنا بمشاهير ادبائها كنجيب افندي البستاني وسليمان افندي مبعوث بيروت في المجلس الدستوري ومعرب الالياذة ثم الشاعر العصري عبد الله افندي . ولا غرو فانهم يحققون معنى اسمهم فيغنون الآداب بما يفيأه بستانهم من الاثمار الجنية

ومن مشاهير لبنان في الادب وفنون الكتابة (يوسف حبيب باخوس) الكسرواني الغزيري من الاسرة الباخوسية الشامخة الفضل ولد في ٥ ايار سنة ١٨٤٥ في غزير وفيها توفي سنة ١٨٨٢ في ريعان شبابه وقد ادى للآداب العربية مع قصر حياته خدماً مشكورة فانه بعد ان تلقن العلوم في مدرسة مار عبدا هرهريا قريباً من عرامون انقطع مدة للتدريس في مدرسة عينطورا ثم في مدرسة الحكمة في بيروت حتى انتدبته حكومة دولة ايطالية الى تحرير جريدة عربية في كالياري من اعمال سردينية فرضي بذلك وباشر بالعمل وانشأ جريدة « المستقل » وحررها سنتين . ثم حرر جريدة البصير في باريس خدمة للمصالح الافرنسية وقد اصابت الجريدتان بهمته بعض النجاح لولا ان المرض احوجه الى مغادرة القلم للاهتمام بصحته . فرجع الى وطنه وما لبث ان توفي . وقد نشر المشرق ترجمته مطولة بقلم احد آله الادباء نجيب افندي

باخوس (المشرق ٥: ١٥١ و١٩٧) وهناك عدّة مقاطيع نثريّة وشعريّة تشهد لهُ بانسجام الكلام ورقّة النظم والتفنن في الكتابة فعليك بها. وكذلك مرّ لنا وصفهُ للربيع في باريس (في المشرق ٣: ٣١٨) ولدمار يومياي (٣: ٤٦٢) وقصيدتهُ في حكمة النفس (٣: ٣٢٢) وليس في الاعادة افادة

وفي السنة ١٨٨٣ رُزئت الآداب باحد ابناء عائلة شريفة في بيروت المرحوم (سليم بن موسى بسترس) كان مولدهُ في ٢٩ آب سنة ١٨٣٩ واقبل صغيرًا على درس الآداب العربيّة وبعض اللغات الاجنبيّة وفي السنة ١٨٥٥ تجوّل في انحاء اوربا وزار عواصمها وقد وصف رحلتهُ في كتاب طبعهُ في المطبعة السوريّة دعاهُ النزهة الشهيّة في الرحلة السليميّة. ثم تعاطى بعد ذلك الاشغال التجاريّة في الاسكندريّة ثم انتقل الى انكلترّة وسكن ليفربول ولندن واتسعت هناك اشغالهُ وعُرف بفضلهِ وسخاء يدهِ فتوفّر عدد اصحابهِ بين وجوهُ البلاد واعيانها ونال من محاسن الامبراطور اسكندر الثاني التعطّفات الفائقة وحاز الامتيازات الخاصّة وكذلك الدولة العثمانية منحتهُ اوسمتها العالية الشان. وكانت وفاتهُ في لندن في ٣ شباط سنة ١٨٨٣ لكنَّ جثتهُ نُقلت الى بيروت فدُفن في ضريح عائلتهِ وقد رثاهُ كثير من الادباء نثرًا ونظمًا بنخبة الاقوال التي جُمعت في كتاب خاصّ. فمن رقيق ما قيل عن لسان الفقيد عند نقل جثتهِ الى بيروت ابيات لالياس افندي نوفل:

لمّا قضى الحتمُ ان يسطو على بدني قد رقَّ حتى رأيتُ الروح تثقلني
فقلتُ لا تدفنوا جسمي بغربتهِ فالشرق اقربهُ تربًا الى عدني
هناك فوق رباهُ خيرُ من تركت عيني وغمت ثراهُ خيرُ مُرتهَنِ
قد جئتكم اثرًا يا جيرتي وانا العينُ التي شخصت للاهل والوطنِ
فعند مشهد نعشي فاندبوا اسفًا صباي او عند قبري فاذكروا زمني
اودعت جسمي لديكم في الممات وكم اودعتكم في حياتي القلبَ في شجني
فاستعطفوا الله من اجلي فرحمتهُ هي التناه لنفسي يوم يحشرني

وكان سليم دي بسترس شاعرًا بليغًا لهُ منظومات متعدّدة جمع فيها بين سلاسة الكلام ولطف المعاني. فممّا استحسنّاهُ من نظمهِ قولهُ في رثاء:

لا شيء غير نفوسنا يتخلّدُ تلك البقيّة خيرها لا يوجدُ
وسواهُا فوق البسيطة كلهُ يفنى وضمن تراجها يتوسّدُ
روحُ إلهِ الكون اوسلها الى جسد الفنا نورًا بهِ يتوقّدُ

فتفرد ذاك الجسمَ في طرق الهُدى وترى لهُ الحقّ المبين وترشدُ
حتى اذا كملت مواعيدٌ لها نادى بها صوتي الهيَ فتصعدُ
وتُفارق الجسم الذي سُجنت به بحياتهِ والى السعادة تقصدُ
حتى اذا تمّ المعادُ وقد أتى يومٌ به كل الخلائق تحشدُ
تعطي الى رب العباد حسابها في محفل فيهِ الملائكُ تشهدُ
في ساعةٍ يا هولها من ساعة ان لم تكن فيها الفضائلُ تعضدُ
وتبيت مع طغمات اجنادِ العلا تجثو الى العرش المنير وتسجدُ
وتشاهدُ المجد المشعَّ نورهُ وتسبّح الربّ العظيم وتحمدُ

ولهُ تهنئة في عام جديد:

اتى العام الجديدُ بزيد علماً بتاريخ المحبّة والوداد
على قدر السنين اليك يُهدى تحيّات السلام على سعادِ
اسرُّ بكل عام حيث فيهِ محبّتنا تدومُ على اتحادِ
وان كنتُ البعيد فانَّ قلبي على طول المدى بين الاياديِ
اوكّلهُ بتوب اليوم عني بتقديم التحيّات الجدادِ

(البقية للآتي)

السرّ المصون في شيعة الفرمسون

مقالة تاريخيّة ادبيّة عمرانيّة للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

تفنيد قول الماسون بان جمعيّتهم خيرية (تابع)

ولعلّ قائلًا ينسبنا الى الاغراض الشخصية او الى الجهل اذ انكرنا على الماسون دعواهم بانّ جمعيّتهم خيريّة فانسمع التقرير الرسميّ الذي تلاهُ في الندوة الفرنسويّة المسيو براش (Prache) رئيس اللجنة الموكول اليها فحص الشكاوى على المسونية فهذا تعريب قولهِ عن جريدة الدولة الرسمية (L'Officiel) سنة ١٩٠٢:

« من النتائج التي تحقّقناها في أثناء تفتيشنا ان الماسونية تقرُّ بانها لا تهتمّ بالبؤساء ولا تنوي مساعدة الفقراء. ومن ثم يتّضح انّ لا صحّة لقول الزاعمين بينهم بانّ الماسونية جمعيّة خيريّة وانها تخفي حسناتها أنفةً من التباهي والبذخ

« ثم بحثنا عن المشروعات الماسونيين الخيريّة فكلُّ ما وجدنا لهم في باريس ميتم